

كل شيء في سبيل توكيد توبته التي تمثلت في سياق هذا النمط من الجهاد المقدس ، ولكن شريط الذكريات يظل يداعب ذاكرته بما فيه من بواعث الحنين والألم ، وتزداد لديه الحيرة ويشتد القلق أمام رصيد ذوي القربى ممن انصرف وغادرهم من أبنائه وبناته ووالدته وزوجته ، حيث يترك كل هؤلاء إلى طريق اللاعودة (٩ - ١٤) .

وتمتد أحاديث المفارقات لديه عبر الأبيات (٦ - ١١) ليعود إلى تسجيل ضرب آخر من ضروب الحنين يشده إلى أدواته القتالية بعنف ، حتى كاد يتوحد معها بين سيف ورمح وفرس (١٥٤ - ١٧) ، وهو توحد قديم ربما سبقه إليه فرسان الجاهلية ، وربما ورد واضحا لدى صعاليكها ، ليرصد الشاعر امتداده عبر حركة الجهاد ، ولكن بشكل مختلف ومتميز ، وكأنه يلح على استكمال عناصر لوحة الحنين في صورتها المتعلقة بالوطن ، أو ما تعلق منها بالأهل والرفاق ، أو ما ظل منها مرتبطا بأدوات القتال ، ليأتي كل هذا مجسدا أمام إحساسه بلحظة الموت التي يرتقبها ، وهي لوحة تتعدد جزئياتها بين مشهد الوفاة ، وبين جثة الميت ، ومشهد القبر في قفر من الأرض ، ثم حتمية القضاء التي لا مناص من تقبلها (١٨ ، ١٩) ، وعندها يستطرد في اجترار رموز المواطنة ، فيسجل منها ما يبغضه ، فإذا المنية تأتيه عند (مرو) وعندئذ يفقد كل رؤاه لصور الماضي ، وتتقلص لديه مشاهد البطولة ، ليبدو أمامها هزيبا ضعيفا يستعين بالرفاق ، لا كما كان من قبل في موقفه من الطعن والقتال ، ولكنه يحشهم على أن يرفعوه ، لعله يرى شيئا من بقايا حلمه ، بل لعله يرى قرينة من قرائن وطنه جسدها في نجم « سهيل » الذي يظهر في سماء بلاد اليمن ، وبذا تبدو استعانة الشاعر بالرفيق ذات دلالة نفسية مؤكدة هنا ، بل تبدو الدلالة خاصة لأنها وليدة موقف خاص ، أساسه تداخل انفعالات القلق والاضطراب والحيرة ، والإشفاق على النفس ، وشدة الحنين إلى الأهل ، والاستسلام التام للقضاء ، والخضوع للرفاق ، وهي مشاعر تبدو متداخلة ومعقدة تعقيد اللحظة التي يصورها الشاعر ، ومنها يحاول الخلاص المؤقت لعله يتجاوز زمنه ، أو لعله يحطم جانبا من حاجزه عوداً إلى الأمنيات وحديث الذكريات ، فإذا هو يستشرف من مشاهد ماضيه يوم أن كان غازيا شرساً يجيد الكر ولا يعرف الفرار ، فإذا ما أدبرت الخيل وفرسانها كان مقداما في ميادين قتاله ، ينجد من يستغيث به ، وكان يجمع في عالم فروسيته من الصفات الإنسانية ما يعجز عن الإلمام بها غيره ، إذ عرف بكرمه ، ونزاهة لسانه وعفة نفسه ، وصبره في القتال ، وبروز مكانته بين قومه في كل المواقف ، وهو ما وجده من متعة الفارس